تستتبع الذكر الجميل » فلينظر العاقل وليحكم هل يمكنهُ ان يستنتج من اقوال ائمة اللغة انَّ المروءة هي غير الشهامة

ومن تلك الاوهام العديدة ايضًا اخذهُ على الكتبة قولهم « تعذَّر عن الامر » وزعم « انهم يستعملونهُ بمعنى امتنع عليهِ الامرُ والصواب تعذَّر عليهِ » والجواب انهم يستعملون تعذَّر عن الامر بمعنى تأخر عنهُ لا بمعنى امتنع عليهِ الامر وتعذَّر بمعنى تأخر ثابت في كل كتب اللغة وقد استشهد عليهِ ابن منظور بقول امرئ القيس :

بسيرٍ يضجُّ العود منهُ يمثُّهُ اخو الجهد لا يلوي على من تعذَّرا

وكنَّا قد ذكرنا قبلًا ان حضرة الاديب صاحب المكرمة الشيخ عبد الرحمن افندي سلام احد كتبة المحكمة الشرعيَّة في بيروت اهدى الينا كراسة عنوانها « دفع الاوهام لابن سلام » اقتصر فيها على تغليط الضيـاء في ما خطَّأت بهِ بعض مشاهير الشعراء والناثرين وقد طالعناها بامعان فرأينا ان حضرة كاتبها التحرير قد وقع في انتقادهِ مواقع الصواب

وقد استحسنَّا منها بالخصوص ردَّهُ على صاحب الضياء في مادَّة « يانع » (العددين ١ و ٢) ومادَّة « انقرط العقد » (ع ٥) و « وأكرَبَ » (ع ٦) و « انكدر » (ع ١٣) و « تخرَّبَ » (ع ١٧) و « موثوق » (ع ٢٠) و « خفر ذمَّتهُ » (ع ٢١) . وقد تاضل المؤلف احسن مناضلة عن كثيرين من ائمَّة الكتبة كالحريري ولسان الدين ابن الخطيب والمقريِّ وبيَّن للمنتقد انهُ لم يدرك معانيهم او بنى اعتراضهُ على غير سند (راجع الاعداد ٢٩ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٨) وكفى بهذا تبصرة وتذكرة . وما العصمة الَّا لله

فوائد لغوية

بقلم جناب الاديب عزتلو الامير شكيب ارسلان احد اعضاء جمعيَّة المستشرقين الفرنسويَّة

١ سألني اديبٌ ما تقول في لفظة «النوادي» فقد وجدناها في كلامك ووجدنا بعضهم ينتقد استعمالها بقولهِ انها لم ترد في متون اللغة وان الوارد في جمع نادٍ هو اندية لا نوادٍ فما جوابك هذا ؟

(قلتُ) لا يُنكر ورود اندية جمعًا لنادٍ في كتب اللغة المعروفة لدينا كما انهُ لا

ينكر كون القياس ان يكون جمعهُ نوادي لانَّهُ كما لا يخفى يجمع فاعل على فواعل لغير العاقل . ثمَّ اظنُّ انَّ الفيروزابادي يُوثق بقولهِ وهو يقول في مقدمة قاموسهِ « خير من حضر النوادي » واذا اعتُرض بان الفيروزابادي غير جاهليّ لم نعدم هذه اللفظة بهذا المعنى في كلام الجاهليَّة نفسهِ . ورد في مجمع الامثال للميدانيّ عند شرح مثل (زُرْ غبًّا تزدَد حبًّا) ابيات رواها المفضل لمعاذ الحرّاعي فارس خزاعة في وقتهِ في قصَّة جرت لهُ مع جحيش بن سودة ومن جملة هذه الابيات قولهُ :

ضربتُ جحيشًا ضربةً لا نئيسةً ولكن بصافٍ ذي طرائق سنبكِ
ولستُ برعديدٍ اذا راع مفصلٌ ولا في « نوادي » القوم بالضيّق المسكِ

فان لم نشتق بالقياس وبالمسموع من كلام العرب فبماذا نشتق وعمن نأخذ لغتنا ؟

٢ قال وما تقول في لفظة « استأسر » هل تأتي بمعنى اسر فقد أيّد ذلك بعضهم وانكرهُ آخرون

(قلت) قد تمسَّك الذين جوَّزوا هذه اللفظة بحديث عبد الرحمن وصفوان نقلًا عن المطرّزيّ وهذا سند لا يُهزأ بهِ . وقد رأيتها في كلام الكبار مثل ابن الاثير صاحب التاريخ وابن الاثير هذا علَمٌ في اللغة من دقَّق في عبارتهِ هذه المرسلة عَلِم علوَّ كعبهِ فيها وضبطهُ متنها وهو يقول في غزوة شهاب الدين اجمير بلاد الهند وغلبتهِ على ملك تلك البلاد عند ذكر وقوع الملك اسيرًا في يد شهاب الدين : « انَّ بعض الحجَّاب اخذ بلحيتهِ وضربهُ الى الارض حتى اصابها جبينهُ واقعدهُ بين يدي شهاب الدين فقال لهُ شهاب الدين : لو « استأسرتني » ما كنتَ تفعل بي ؟ فقال الكافر : قد استعملتُ لكَ قيدًا من ذهب اقيدك بهِ الخ . وهؤلاء قوم رأوا من الكتب ما لم نرَ وسمعوا ما لم نسمع

٣ قال وما تقول في لفظة « احتمى » ؟ . (قلتُ) هي واردة في كتب اللغة المعروفة عندنا بمعنى امتنع عن الطعام حميةً . على انَّ فحول الكتَّاب والشعراء الذين حفظوا اللغة نظير جامعي هذه المتون ان لم نقُل اكثر قد استعملوها في معنى طلب الحماية قال ابن الاثير : « واحتمى ثلثمائة من فرسان الافرنج على تلّ فقاتلهم المسلمون » . ووردت في كلامهِ مرارًا وقال ابن هانئ الاندلسي المضروب بهِ المثل في الشعر وكان يحمل من اللغة امرًا عظيمًا وذلك من قصيدة يهنئ بها جعفر بن غلبون بفتح قلعة كتامة :

على هذه تساء والابلقُ الفردُ فسَلْ أنجمات الاسد ما فعل الاسدُ

الى ان قال:

فتوحات ما بين السماء وارضها لها عند يوم الفخر ألسنةٌ لدُ
سيبقى في ثوب الخليفة طيبُها وما ثمَّ كافورٌ عليهِ ولا نَدُ
تحرورتْهُ ما كبَّر الله خاطبٌ عليها ولا حثَّى بها ملكًا وفدْ
وكانت هي السجاء حتى احتمى بها ملوكُ بني قحطان والشمرُ والمجدُ

٤ قال وما قولك في « بارح » هل تأتي بمعنى بَرَح ؟ (قلتُ) اوردوا على ذلك شاهدًا من كلام الامام عمر رضي الله عنهُ. وها انا ذا مورد شاهدًا آخر ذكر ابن عبد ربّه في باب التوديع في الجزء الثالث من عقده الفريد هذه الابيات من قول اعرابي:

ابكرٌ تلبين ام انت رائحُ وقلبك ملهوفٌ ودمعك سافحُ
الان تبكي والنوى مطمئنةٌ فكيف اذا بارحتَ من لا تبارحُ
فانك لم تبرح ولا شطَّت النوى ولكنَّ صبري عن فؤادي نازحُ

٥ قال صاحبنا امَّا استعمال « النوال » بمعنى النَّيل كما تستعملهُ الجرائد خصوصًا المؤيد فهو غلط فاضح بلا شكّ. (قلتُ) لا اقدر ان اغلّط كلامًا تكلّم بهِ اهل الجاهليَّة ورد في ديوان الحماسة قولهُ من ابيات شهيرة:

وهل حملت عيناي في الدار غدوةً بدمع كنظم اللؤلؤ المتهالكِ
ارى الناس يرجون الربيع وانّما ربيعي الذي ارجو نوالُ وصالكِ
لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ لقد سرَّني انّي خطرتُ ببالكِ

٧ قال وهل يُقال عدوٌّ الدّ ؟. (قلتُ) يظهر ان اللدد من الصفات التي قد يتَّصف بها العدوّ. ويتبعهُ الحنق والحقد وما اشبه ذلك. قال الشاعر وهو ربيعة بن مقروم الضبّي:

والدَّ ذي حنقٍ عليَّ كأنّما تغلي عداوة صدرهِ في مرجلِ

فاذا كان يقال « ألدّ ذو حنقٍ » فكيف يمتنع ان يُقال عدوّ الدّ. فاستقصى صاحبنا البحث الى الفاظ وتراكيب اخرى زعم بعضهم عدم صحّتها وآخرون جوازها سائلًا فيها رأيي وان كان يستوري بذلك زندا لا يفيدهُ قدحًا ويستحثّ ياسرًا لا يجيل في مثل هذا قِدحًا فقلتُ لهُ: تلك اعتراضات فيها وفي اجوبتها مجالٌ واسع للقول والعربيَّة بحرٌ لا ساحل لهُ وقد اخطأ كل من ظنَّ احتكار علمها او التبحُّر في فقهها وما أوتيتم من العلم الّا قليلًا